الفصل العاشر

دعاء موسى

لموسى ـ عليه السلام ـ عدة دعوات في كتاب الله تعالى ، نوردها فيما يلي :

١ـ دعوته حين قتل الرجل القبطي الذي كان يقاتل رجلاً من بني إسرائيل :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

[القصص : ١٦] .

ودعوته هذه مثل دعوة آدم عليه السلام ، قدم فيها الاعتراف بالذنب على طلب المغفرة والرحمة . وقد تاب من ذنبه ، وعاهد الله على عدم العودة إليه ، وعلى خذلان الظالمين :

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾[1] [القصص : ١٧] .

٢ـ دعوته حين خرج من مصر خوفاً من القبض عليه والبطش به بسبب فعلته :

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[2] [القصص : ٢١] .

---

(١) ظهيراً : معيناً .

(٢) يترقب : يتوقع المكروه .

٣ـ دعوته حين توجه نحو مَدْيَنَ ، دعا فيها ربَّه أن يهديه إلى طريق النجاة والأمن :

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [القصص . ٢٢] .

٤ـ دعوته بعد أن سقى لامرأتين مواشيهما من ماء مدين ، أعلن فيها عن حاجته إلى الخير والعطاء .

﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ .

[القصص ٢٤] .

وقد استجاب الله دعوته هذه كما استجاب دعواته السابقة فما إن فرغ من دعائه حتى جاءته إحدى البنتين اللتين سقى لهما ، تدعوه إلى أبيها ليجزيه على إحسانه إليهما .

وقد وجد عنده الملاذ والنجاة ، كما وجد التكريم والرعاية ؛ إذ زوجه تلك المرأة ، وأقام في كنفه عدة سنين :

﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

[القصص : ٢٥] .

وكأن إحسان موسى ـ عليه السلام ـ إلى المرأتين الضعيفتين يعتبر وفاء بعهده ألا يكون عونا للمجرمين ، وسبباً لما ناله من أمن و تكريم وفضل ، ولمغفرة الله ورحمته . قال تعالى :

﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النمل : ١١] .

وهكذا يكون من واجب من ظلم وأذنب أن يدعو الله ويستغفره ويتوب إليه ، ثم يعمل صالحاً ليقبل الله دعاءه ويكفر سيئاته ويغفر له .

٥ـ دعوته حين كلمه الله من جانب الطُّور واصطفاه لحمل رسالته ، إذ دعاه أن يشرح صدره ويطلق لسانه ، ويعينه بأخيه هارون في حلم أعباء الرسالة .

كما أعلن فيها عن خوفه من القتل بذلك القبطي ؛ فاستجاب الله دعاءه ، وأعطاه سؤله . وقد ذكرت هذه الدعوة في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم هي :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾

[الشعراء : ١٢ـ١٥] .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[1] .

القصص : ٣٣ـ٣٥] .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[2] .

[طه : ٢٥ـ٣٦] .

٦ـ دعوته مع أخيه ليحفظهما الله من كيد فرعون وطغيانه :

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[3] [طه : ٤٥ـ٤٦] .

٧ـ دعوته على فرعون وجنده بالهلاك ، ولقومه بني إسرائيل بالنجاة والاستخلاف في الأرض :

---

(١) ردءاً : عوناً . سنشد عضدك : سنقويك . سلطاناً : غلبة وتسلطاً ، أو حجة واضحة .

(٢) احلل عقدة من لساني : أطلق لساني حتى لا أتلعثم في كلامي ، ويفهموا ما أقول . اشدد به أزري : أقوِّ به ظهري .

(٣) يفرط علينا : يعجل علينا بالعقوبة . يطغى : يعتدي ويجاوز الحد .

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف : ١٢٩] .

وكان موسى ـ عليه السلام ـ مؤدباً في دعوته هذه ، فهي أقرب إلى التمني والرَّجاء من الدعاء . بل إن قوله أقرب إلى تبشير قومه بالنجاة وهلاك عدوهم ، والوعد بأن يصبحوا خلفاء في الأرض ، يعمرونها آمنين .

٨ـ دعوته على فرعون ومَلَئِه بأن يعذبهم الله ، ويتلف أموالهم ، ويطبع على قلوبهم ، حتى لايستطيعوا أن يضلوا الناس ، ويصدوهم عن سبيله . وقد أُجيبت دعوته هذه مع شيء من العتاب شبيه بما عوتب به نوح عليه السلام حين دعا لابنه الذي لم يؤمن . قال الله تعالى :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] .

[يونس : ٨٨ـ٨٩] .

ولعل موسى قد تعجَّل في دعوته ، وكان الواجب عليه أن يفوض أمره إلى الله ، ويستسلم لمشيئته حتى يقضي أمراً كان مفعولاً .

وكانت الاستجابة في أن أخذ الله فرعون وقومه بسني القحط ونقص من الثمرات ، ثم أرسل عليهم الطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم ، حتى جاؤوا إلى موسى ـ عليه السلام ـ يعاهدونه أن يؤمنوا به ، ويرسلوا معه بني إسرائيل إذا دعا ربه أن يكشف العذاب عنهم . ولكنهم نكثوا العهد ، وتمادوا في الصد والاستكبار[2] .

ولعل موسى ـ عليه السلام ـ عوتب من أجل ذلك على دعوته هذه ؛ فالله

---

(١) اطمس على أموالهم : أي أهلكها . واشدد على قلوبهم : اطبع عليها .
(٢) انظر تفصيل ذلك في كتابنا « أولو العزم من الرُّسل : ٢١٣ـ٢١٨ » .

أعلم بحال عباده وتأثير السراء والضراء عليهم ، وهو يرزق البر والفاجر منهم .

٩ـ دعوته بأن ينجيه الله من شر فرعون حين أراد قتله بحجة أنه يريد تبديل الدين و الفساد في الأرض . قال تعالى :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾[1] [غافر : ٢٦ـ٢٧] .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴾[2] [الدخان : ٢٠] .

فاستجاب الله له ، وأرسل إليه رجلاً مؤمناً يدافع عنه ، ويحذر من قتله . قال تعالى :

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[3] [غافر : ٢٨] .

١٠ـ دعوته مرة أخرى على فرعون وقومه . ولكنه في هذه المرَّة لم يطلب شيئاً محدداً من ربه ، وإنما اكتفى بالشكوى من إجرامهم ومكرهم . وأتاه الأمر بأن يسير بأتباعه المؤمنين ليلاً ليخرجوا من مصر ، ويتخلصوا من الظلم والطغيان . قال تعالى :

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ .

[الدخان : ٢٢ـ٢٣] .

١١ـ طلب الهداية من ربه حين كاد فرعون وجنده أن يلحقوا بهم ، وأصبح

---

(١) عذت : لُذْتُ واستَجَرْت .

(٢) أن ترجمونِ : أن تقتلوني رجماً بالحجارة .

(٣) مسرف : متجاوز للحد .

البحر من أمامهم والعدو من ورائهم . وكان موسى ـ عليه السلام ـ لطيفاً في دعوته ، بل كان واثقاً من هداية ربه له ، واعداً قومه بالنجاة . كيف لا وقد أسرى بهم بأمر منه سبحانه وتعالى . ولعله تذكر أن الله هداه سواء السبيل حين خرج من مصر خائفاً يترقب ، وكان وحيداً طريداً ، فأيقن أن الله لن يتخلى عنه هذه المرة ومعه قومه المؤمنون . قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ .

[الشعراء : ٦١ـ٦٢] .

وكانت الهداية بأن أوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فانفلق ، وسار موسى وقومه في قاعه لايخافون أن يدركهم العدو ، ولايخشون من الغرق . ثمَّ تبعهم فرعون وجنده ، فغرقوا أجمعين .

١٢ـ دعاؤه ربه بأن يجعله ينظر إليه حين جاء لميقاته وكَلَّمه . وجاءه الرد بأن لا يطيق ذلك هو ولا أحد غيره ، حتى الجبل يتهدم إذاتجلى ربه له . قال تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

[الأعراف : ١٤٣] .

١٣ـ استغفاره لنفسه ولأخيه بعد أن عنفه وأخذ برأسه ولحيته ، بسبب عبادة قومه العجل حين ذهب لميقات ربه :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ .

[الأعراف : ١٥١] .

---

(١) جعله دكاً: صار تراباً وساخ في الأرض . واختلف العلماء في التجلي . قال ابن عباس رضي الله عنهما : ظهر نوره للجبل . المؤمنين: من بني إسرائيل ، أو المؤمنين بأن الله تعالى لا يراه أحد في الدنيا .

١٤ـ دعاؤه واستغفاره حين اختار سبعين رجلاً من قومه لميقات ربه ليتوبوا من عبادة العجل ، فأخذتهم الصاعقة بقولهم : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة . قال تعالى :

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَّ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1] [الأعراف : ١٥٥ـ١٥٦] .

فبعثهم الله بعد موتهم ، وعفا عنهم . قال تعالى :

﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٢] .

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٦] .

١٥ـ دعاؤه على قومه حين جبنوا عن دخول الأرض المقدسة :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[2] .

[المائدة : ٢٥] .

وجاءه الرد بتحريمها عليهم ، ونهي عن التأسف عليهم :

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۖ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[3] [المائدة : ٢٦] .

وبذلك ينتهي دعاء موسى عليه السلام ، وهو يدل على الجهد الشاق الذي

---

(١) الرجفة: الزلزلة الشديدة والصاعقة . فتنتك: ابتلاؤك وامتحانك . هدنا: تبنا ورجعنا .

(٢) فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين : فافصل بيننا وبينهم ، أو باعد بيننا وبينهم .

(٣) يتيهون في الأرض: يسيرون فيها متحيرين لايهتدون طريقاً . فلا تأس: لا تحزن .

بذله لتحرير قومه واصلاحهم وتربيتهم[1] ، كما يدل على رعاية الله له وتوفيقه وعونه ، وعلى استجابته دعاء من يدعوه ، وهدايته من يستهديه ، وحفظه من يتوكل عليه .

* * *

(١) انظر تفاصيل حياته ورسالته في كتابنا : « أولو العزم من الرُّسل » ص : ١٥٩ـ٣٠٣ .